

هذه روايتنا .. لماذا طوفان الأقصى؟



إن معركة الشعب الفلسطيني مع الاحتلال والاستعمار لم تبدأ في 7 أكتوبر 2023 ، وإنما بدأت قبل ذلك منذ 105 أعوام من الاحتلال؛ 30 عاماً تحت الاستعمار البريطاني و 75 عاماً من الاحتلال الصهيوني. والشعب الفلسطيني كان في سنة 1918 يملك 98.5 % من أرض فلسطين، ويتمتع بأغلبية 92 % من السكان، مقابل ما كان لدى اليهود، والذين أتى معظمهم آنذاك عبر الهجرات الاستيطانية المبكرة، وحتى 1948 قبيل إنشاء الكيان الصهيوني، فبالرغم من أن الاستعمار البريطاني فتح أبواب فلسطين لهجرة اليهود، وسعى لإيجاد البيئة الأفضل للصهاينة لإنشاء كيانهم، وقام بقمع الشعب الفلسطيني وقهره، إلا أن الصهاينة لم يتمكنوا إلا من السيطرة على 6% من الأرض، وأن يكونوا 31.7 % من السكان. وقد حرم الشعب الفلسطيني من حق تقرير المصير.

وقامت العصابات الصهيونية بارتكاب مجازر بشعة وتطهير عرقي أدى لسيطرتها بالقوة على 77 % من أرض فلسطين، وتهجير أكثر من 57 % من شعب فلسطين، ودمرت أكثر من 500 قرية وبلدة فلسطينية وارتكبت عشرات المجازر بحق شعبنا لدفعه إلى الهجرة خارج الوطن؛ وذلك تمهيداً لإنشاء الكيان الصهيوني عام 1948 . وفي سنة 1967 احتلت القوات الإسرائيلية باقي أرض فلسطين؛ أي الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس، فضلاً عن أراضٍ عربية أخرى.

عانى شعبنا طوال عقود من كافة أشكال القهر والظلم ومصادرة الحقوق الأساسية، ومن سياسات الفصل العنصري، وعانى قطاع غزة حصاراً خانقاً مستمراً منذ أكثر من 17 عاماً ليتحوّل إلى أكبر سجن مفتوح في العالم، كما عانى القطاع من خمسة حروب مدمرة؛ في كل منها كانت (إسرائيل) هي البادئة فيها. وحتى عندما حاول شعبنا في قطاع غزة الاحتجاج السلمي على أوضاعه الصعبة، والمطالبة بحق العودة؛ عبر ما عُرف بـ «مسيرات العودة»، لم يتوان الاحتلال الإسرائيلي عن قتل أكثر من 360 فلسطينياً وجرح أكثر من 19 ألفاً آخرين، بينهم نحو خمسة آلاف طفل.

وفق دراسات إحصائية موثقة، منذ سنة 2000 وحتى سبتمبر 2023 (قبيل 7 أكتوبر) قام الاحتلال الإسرائيلي بقتل 11,299 فلسطينياً وجرح 156,768 آخرين، أغلبيتهم الساحقة من المدنيين. وللأسف فإن الولايات المتحدة وحلفاءها، لم يلتفتوا إلى معاناة الفلسطينيين وتابعوا تغطية البطش الصهيوني. ولم يتباكوا إلا على الإسرائيليين في 7 أكتوبر، ودونما أدلة حقيقية ضد حماس، بالاستهداف المزعوم للمدنيين، ثم قاموا بتوفير الدعم المادي والغطاء من جديد للمجازر والمذابح التي قام بها الاحتلال ضد المدنيين الفلسطينيين في عدوانه الهمجي على قطاع غزة، والذي يندى له جبين

البشرية، وما زالوا يوقرون الغطاء والدعم والذخائر وأدوات القتل والتدمير.

لقد تمّ توثيق انتهاكات الاحتلال الإسرائيلي وفضائعه من قبل مؤسسات الأمم المتحدة ولجان التحقيق والمحاكم الدولية ومنظمات حقوق الإنسان العالمية؛ مثل منظمة العفو الدولية و(هيومن رايتس ووتش)، وحتّى من منظمات إسرائيلية، بالإضافة إلى منظمات فلسطينية متخصصة مشهود لها عالمياً بالكفاءة والنزاهة. وقد مر ذلك كله وما زال يمر دون مساءلة أو عقاب. وعلى سبيل المثال، قام السفير الإسرائيلي لدى الأمم المتحدة (جلعاد أردان) في 2021/10/29 على منصة الجمعية العامة للأمم المتحدة بتمزيق تقرير مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة نفسها، في وجه ممثلي دول العالم، وأخبرهم أنّ مكانه سلة المهملات، بل -إمعاناً في قهر شعبنا - انتخب (أردان) نفسه في السنة التالية نائباً لرئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة!!

الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها الغربيون يتعاملون مع «إسرائيل» منذ إنشائها كـ «دولة فوق القانون»، ويوقرون الغطاء اللازم لاستمرار احتلالها وقمعها للشعب الفلسطيني ومصادرة المزيد من أرضه ومقدساته وتهويدها، وفرض ظروف معيشية قاسية وبيئات طاردة، فضلاً عن محاولاتهم المستمرة لتهميش شعبنا وإجباره على الرحيل عن أرض الوطن. وبالرغم من أنّ الأمم المتحدة ومؤسساتها أصدرت أكثر من 900 قرار خلال الـ 75 عاماً الماضية لصالح الشعب الفلسطيني؛ إلا أنّ «إسرائيل» رفضت تنفيذ أيّ منها، وكان الفيتو الأمريكي الغربي دائماً بالمرصاد ضدّ أيّ محاولة لإلزام «إسرائيل» بتنفيذ القرارات أو إدانة سلوكها. ولذلك، فإنّ هذه الدول تعدّ متواطئة ومتورطة وشريكاً كاملاً للاحتلال في جرائمه التي لا تتوقف، وفي استمرار معاناة الشعب الفلسطيني.

حتّى بالنسبة لمسار التسوية السلمية، فبالرغم من اتفاق أوسلو 1993 مع منظمة التحرير الفلسطينية، الذي كان من المفترض أن يؤسّس لإنشاء دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة، إلا أنّ «إسرائيل» قامت عملياً بتدمير إمكانية قيام دولة فلسطينية من خلال الحملة الشرسة لمضاعفة الاستيطان والتهويد في الضفة الغربية، وخصوصاً شرقي القدس، ووجد مؤيدو مسار التسوية بعد 30 عاماً من المحاولات أنّهم أمام حائط مسدود، وأنّ هذا المسار تسبّب بنتائج كارثية على قضية فلسطين. لقد أكّد المسؤولون الإسرائيليون رفضهم القطعي لقيام دولة فلسطينية، وقبل شهر من طوفان الأقصى، حمل رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتانياهو في خطابه أمام الأمم المتحدة في شهر سبتمبر 2023 خريطة لكامل فلسطين التاريخية، بما فيها الضفة الغربية وقطاع غزة، وقد لُوّنت كلها بلون واحد وعليها اسم «إسرائيل». ولم يُحرّك العالم ساكناً؛ وهو يرى عنجهية إسرائيل ومصادرتها لإرادة المجتمع الدولي، وإنكارها لحقوق شعبنا في أرضه ومقدساته وحقّه في تقرير المصير.

والآن، وبعد أكثر من 75 عاماً من الاحتلال والمعاناة، وإفشال أيّ أمل بالتحرير والعودة، وبعد النتائج الكارثية لمسار التسوية السلمية، ماذا كان يتوقّع العالم من شعبنا أن يفعل:

في مواجهة مخططات التهويد والتقسيم الزماني والمكاني للمسجد الأقصى، وتساعد وتيرة اقتحامات المستوطنين الاستفزازية للمسجد الأقصى. في مواجهة ممارسات ائتلاف اليمين الصهيوني الأكثر تطرفاً، الذي باشر عملياً معركة حسم للسيطرة على الضفة الغربية من خلال خطة الضمّ، وخطة حسم السيادة على القدس والمقدسات، وخطة طرد شعبنا وتهجيرهم من الضفة الغربية.

وماذا يفعل لإجبار الاحتلال على إطلاق سراح آلاف الأسرى الفلسطينيين القابعين في سجونهم؟ خاصة بعد التنكيل البشع الذي ضاعفوه في ظل حكومة نتانياهو - سموتش - بن غفير.

وماذا يفعل لإنهاء الحصار الجائر المفروض على قطاع غزة؟ الذي جعله يموت موتاً بطيئاً. وماذا يفعل في مواجهة توسع الاستيطان في الضفة الغربية بوتيرة غير مسبوقة، وفي مواجهة عنف المستوطنين في الضفة الغربية وجرائمهم، التي وصلت مستويات غير مسبوقة؟

وماذا يفعل ليحقّق أمل 7 مليون فلسطيني بالعودة إلى ديارهم بعد 75 عاماً من النفي والشتات. وماذا يفعل في ظل عجز المجتمع الدولي، وتواطؤ بعض الدول الكبرى لمنع تحقيق حلمه بالدولة، وهو الشعب الوحيد في العالم الذي ما زال قابلاً تحت الاحتلال.

هل كان المطلوب من شعبنا أن يواصل الانتظار والرّهان على الأمم المتحدة ومؤسساتها العاجزة، أم أنّ الردّ الطبيعي على تلك الممارسات هو مبادرة شعبنا للدفاع عن أرضه وحقوقه ومقدساته؟! علماً بأنّه حقّ مكفول في القانون الدولي، والشرائع والأعراف البشرية.

انطلاقاً ممّا سبق، كانت عملية طوفان الأقصى في 7 أكتوبر 2023 م، خطوة ضرورية واستجابة طبيعية، لمواجهة ما يُحاك من مخططات إسرائيلية تستهدف تصفية القضية الفلسطينية، والسيطرة على الأرض وتهويدها، وحسم السيادة على المسجد الأقصى والمقدسات، وإنهاء الحصار الجائر على قطاع غزة، وخطوة طبيعية في إطار التخلّص من الاحتلال، واستعادة الحقوق الوطنية، وإنجاز الاستقلال والحرية كباقي شعوب العالم، وحق تقرير المصير، وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس.



الموقع الرسمي لحركة حماس